الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

تخصص: أدب مقارن

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأ دب مقارن

الموضوع:

الرحلة في الأدب العربي
رحلة ابن خلدون نموذجا

إعداد الطالبة:

ولد يوسف صارة

إشراف الأستاذ:

حنيفي بن ناصر

السنة الجامعية:

2017-2016

التشكرات

في بادئ ذي بدء أشكر الله تعالى علة نعمة العلم التي وهبها لي بقوله تعالى < ولئن شكرتم لأزيدنكم> الذي وفقني في إنجاز هذا العمل.

كما أتقد بكل تشكراتي مع فائق إحتراماتي إلى أغلى ما لدي في الوجود والدي العزيزين أطال الله في عمرهما.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي ومنير دربي وبصيرتي الفاضل "حنيفي بن ناصر" الذي كان لي الموجة والمرشد فهو الذي لم يبخل على بنصائحه السديدة وتوجيهاته القيمة فكان المنبع الذي استمدت به علمي فنعم الأستاذ ونعم الموجه

كما أشكر كل من أستاذ أو أستاذة مر عليهم إسمي فإنشرح صدرهم لما بدى مني حسن السلوك و الإحترام ولا يفوتني أن أنسى كل طاقم الأساتذة في كلية الآداب والفنون بجامعة عبد الحميد إبن باديس بخروبة.

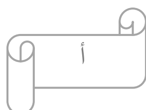
أسأل الله أن يبارك لي في هذا العمل ويرشدني إلى ما فيه صلاح لي وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

المقدمة

أحمد من تفرد بعظمته وكبريائه وتقدس بصفاته وأسمائه أحاط بكل شيء علماً فلا يعزب عنه مثقال ذرة في أرضه وسمائه، ووسعت قدرته الممكنات، فلا تبرح عن إبداعه وإنشائه ودل حدوثها وتخصيصها بوقت الإيجاد على إرادته وقضائه والصالة والسلام على نبيه الكريم الذي أعطى جوامع الكلم ونوابغ الحكم وعلى آله وصحبه أجمعين الذين إصطفاهم الله ليكونوا أئمة ففي الدين وفي اللسان العربي أما بعد،

يزخر التراث العربي بجوانب عدة ومتنوعة في مجلات عديدة فهناك مؤلفات ومؤلفين ومدونات خصت بالتربية والتعليم وجميع مجالات الحياة فاستفادت منها المدارس والجامعات على إختلاف تخصصاتها وجنسياتها سواء كانت عربية أو غربية مما يكرس تلك الدعوة القابلية بإعادة قراءة تراثنا العربي الأصيل لأنه في الحقيقة هو كنز ثمين قد تركه السلف للخلف بغيت الإهتمام والإعتناء به وكذا حمايته من كل عدو،وكل جاهل فلا تكمن موازنته لا بكنوز الدنيا ولا يذهبها.

إن العودة إلى مفكر ومؤرخ في القرن الرابع عشرة ميلادي ليست العودة إلى البكاء على الأطلال وإنما العودة للتأمل في فكر رجال وعلماء كانوا نقطة انطلاق إلى العالمية وأخص بذالك العالم الذي قال أن يأتي الدهر بمثله وهو التاج الذي علا قمم رؤساء العصر بما انطوى عليه من عزيز المعارف والعلوم إذا تحلى وإشتمل على الخلق الكريم و الفضل الجزيل وقوة النفس الأبية والتفنن في اللغات العربية فهو العبقري الذي لم يغادر أي ميدان من ميادين الأدب إلا ضرب فيه بسهم ولا بحلبة من حلباته إلا إشترك مع فرسانها فهو العبقري الذي نبغ في نواح كثيرة منها علم الإجتماع وعلم التاريخ فهو الذي قال فيه المؤرخ الإنجليزي روبرت فلينت «.... فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان» ألا وهو العلامة والشيخ والمؤرخ عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين بن خلدون فلهاذ الرجل مجموعة من المؤلفات أنجبتها قريحته الفذة في مقدمتها كتاب "المقدمة" الذي قال فيها مصطفى نعيما ووصفها بأنها كنز لا قاع له مليء بجواهر العلوم ولآلئ الحكم فقد جمع فيها العلوم فلم تصف عن علم أو فن إلا وأنت على ذكره من غير كلل أو ملل ومن دون تطويل أو تعجيل فهي تحفة إبن



خلدون وسر عظمته وعليه فموضوع بحثي هو التمثيلات الحضارية عند إبن خلدون "المقدمة" حيث أنه كان عبارة عن إجابة لأهم الإشكالات والتساؤلات التي كان مدار بحثي حولها هي على النحو التالي:

- **من هو إبن خلدون؟**
- **كيف عرف ونظر إبن خلدون لمصطلح التاريخ والدين ولذا الحضارة؟**

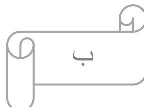
وقد إعتمدت في هذه الدراسة على منهج التحليل الوصفي المناسب لسرد حقيقة إبن خلدون والتعرف عليه من جميع جوانبه العلمية والعملية.

أما فيما يتعلق بسبب إختياري لهذا الموضوع لم يكن من باب الصدفة وإنما كان رغبة مني في الكشف عن أسرار وخبايا مؤرخنا ومعرفة شخصيته الفذة كونه إمام ومجدد وواضع للنظريات التاريخ.

لذا ارتأيت أن أرسم وأنظم بحثي وفق خطة أكاديمية متضمنة مدخلاً وفصلين إلى جانب المقدمة والخاتمة ومحتواة البحث وقائمة المصادر والمراجع أما المقدمة فكانت بوابة التي تفتح لنا سرح الدخول للموضوع البحث ثم يليها المدخل الذي تحدثت فيه عن تراث ومفهومه وكيفية العناية به، ثم عرجت إلى الفصل الأول الذي أسميته "التعريف بإبن خلدون" وتناولت فيه حياة إبن خلدون العلمية والعملية وكذا ظروف نشأته وتعلمه وشيوخه بالإضافة إلى مؤلفاته مع الإهتمام بالمقدمة وتلخيصها ثم إنتقلت إلى الفصل الثاني الذي كان عنوانه "تناول المصطلحات"حيث أبرزت فيه مفهوم التاريخ ومصطلح الحضارة والدين عند كل من إبن خلدون ومالك بن نبي مستعينة بذالك على عدة كتب قيمة كان من أهمها مقدمة إبن خلدون وكذا كتاب "التعريف بإبن خلدون "رحلة شرقاً وغرباً بالإضافة إلى مجموعة لا بأس بها من الكتب.

وقد كانت نهاية ملخص بحثي خاتمة إستخلصت فيه أهم النتائج التي تعتبر حوصلة لما قدمته من خلال البحث.

وفي الختام أسال الله غز وجل أن يلهمنا السداد والتوفيق فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأننا فمن نفسي والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



المدخــــل

الفصل الأول

الفصل الثاني

المقدمــــة

الخـــاتمة

الملاحــــق

قائمــة المصـــادر والمراجـــع

الفهـــرس

مفهوم التراث

لقد أعطى "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " تعريفا لمعنى مفهوم كلمة "التراث" في العصر الحاضر فيقول: "التراث ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية. مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه".[1]

أو هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه.

ويعد تعريف الدكتور عبد المجيد دياب للتراث أكثر تصديقا للمعنى المتعارف عليه إذ يقول: "التراث هو ما خلفه أجيال من العرب من ألوف الكتب والرسائل ما يزال كثير منه مخطوطا في مكتبات العالم في الشرق والغرب على السواء. وما تحتوي هذه الكتب من آراء ونظريات علمية ليس إلى حصرها سبيل"[2].

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور مفهوم التراث على النحو التالي: "قال ابن الأعرابي: الورث والإرث والوارث والإراث والتراث واحد".

الأزهري: "ورث بن فلان ماله توريثا".

وأورثه الشيء: أعقبه إياه.

ويقال: ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا، إذا مات مورثك فصار ميراثه لك.

وورث في ماله: أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة".[3]

---

[1]- ليلى توفيق العمري- جهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث العلمي، دار عيداء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ص 45.
[2]- المرجع نفسه، ص 46.
[3]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة 06، 1417ه-1997م، ص 200.

العناية بالتراث

لقد اهتم أهل العلم والباحثون اهتماما كبيرا بكتب تراثنا الضخم وقد قدموا له عناية فائقة لأن الوظيفة التي يؤديها التراث هي أن تكون موصولا بالمعاصرة قادرا على النمو بها، هاديا إلى الصراط السوي في التقدم نحو المستقبل. ولأن معرفة الماضي تشرط في صياغة المستقبل وإنشائه حيث أن التراث لا يمكن أن يمثل رجعة إلى الوراء إنما هو قوة دفع، وليست النظرة إلى الوراء فيه إلا لإحكام النظرة إلى الأمام. ولأنها تؤمن أن المستقبل الذي تريد بناءه لا يمكن أن ينفصم عن الماضي. وعليه يجب الاعتراف بفضلهم في الميادين التي سبقوا إليها وبرعوا فيها، اعترافا يأتي وفاءا لهم، ووفاءا لأنفسنا وأبنائنا، إذ لا يمكن أن نشعر بقيمة أنفسنا إلا إذا اعترفنا بقيمة غيرنا، ولا يمكن أن نعترف بتميزنا في إحدى ميادين العلم إلا إذا اعترفنا بفضل من سبقنا إليه، ولا يمكن أن نقر بوجودنا إلا إذا اعترفنا بوجود من سبقنا، فإذا أردنا أن نحافظ على حاضرنا من أجل بناء مستقبل أفضل فعلينا أن نحافظ على ما بقي لنا من تراثنا الفكري.

وأن العناية بكتب التراث نجني منها فائدة كبيرة وجلية تتمثل وتتجلى في إحياء التراث أولا وزيادة الثقافة ثانيا، كما يؤدي إلى نشاط الحركة الفكرية. وهذا ما يساعد الناس على تنمية اعتزازهم بأمتهم، وتقوية الصلة بتراثهم، وتمسكهم بمثلهم الإنسانية، وقيمهم الإسلامية، والوقوف على قضاياها، والدفاع عن رسالتها في الوجود، لأن التراث يعتبر أساسا ومنهجا في بناء الإنسان العربي المعاصر وإقامة حياة فكرية أصيلة. لأن دراسة الماضي إنما هو من أجل الحاضر والمستقبل".[1]

[1]- د.ليلى توفيق العمري، جهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث العربي، درا عيداء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2007م، 1417ه، ص 56-67.

أثر المصنفات العلمية في الحضارة

لا يليق بالعالم أن ينكر الحقيقة تعصبا لجنس من الأجناس لأن العلم الصحيح وحب الحقيقة لا يفترقان. فالحقيقة التي لا يقبل النزاع أن الأوربيين تناولوا مشعل العلم من أيدي الغرب فاستضاءوا به بعد ظلمة وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوا من هذا الضياء العميم الذي انكشف به أحدث العلوم. ولو لم يحمل العرب ذلك المشعل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمور أن يفتح الأوروبيون نوره من جديد. فقد كتب الأستاذ جيب GIBB في مجموعة تراث الإسلام فصلا ممتعا عن أثر العرب في الآداب الأوروبية استشهد فيه بكلمة الأستاذ ماكييل MACKAIL من محاضراته على الشعر قال فيها: "إن أوروبا مدينة للبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية..."[1] كما لا ينفى الأثر الذي تركه الأدب العربي في شعر الأوروبيين ونثرهم حيث أن هذا الأثر قد تسرب من طريق الإيحاء والرواية اللسانية بين المسلمين الذين كانوا يتكلمون العربية وبعض اللغات الأوربية وبين الشعراء الأوروبيين.

إن الجانب المهم من أثر الموسوعات الثقافية العربية في أوروبا هي طرق تلقي هذه الثقافة والتي تراوحت في ثلاث طرق أو ثلاث جهات مثلا حقه. فكانت الأولى جهة القوافل التجارية التي كانت تغدو بين آسيا وأوروبا الشرقية والشمالية من طريق القسطنطينية. أما الجهة الثانية كانت المواطن التي احتلها الصليبيون وعاشوا فيها زمنا طويلا أما الجهة الثالثة هي جهة الأندلس وصقلية.

"وقد أشاد هوميروس في الأوديسا بمهارة الأدباء العرب، حيث أن موسوعات الطب الإسلامية ما لم يوضع له تطير في الضخامة والتمحيص على قدر أسباب التمحيص في زمانه، وقد ترجمت كلما إلى اللاتينية فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوروبا من حال إلى حال. ولم يضارع مؤلفي العربية فيها أحد من علماء الأوروبيين." [2]

---

[1]- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى فبراير 1995- ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص 33.

وقد ترجم كتاب القانون لبن سينا في القرن الثاني عشر وهو موسوعة جمعت خلاصة ما وصل إليه الطب عند العرب. كما ترجم أيضا كتاب الحاوي المزاري سنة 1279 وترجمت كتب ابن الهيثم وقد احتلت هذه الكتب مكانة غالية وقد كانت هي المرجع المعول عليه عند أساتذته جامعة لوفان.

وقد تأثرت القصة الأوروبية في نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص في القرون الوسطى وهي المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان في سبيل المجد والغرام. " ويرى بعض النقاذ الأوروبيون أن رحلات جليفر التي ألفها سويفت ورحلة روبتسون كروزو التي ألفها ديفوي مدينة لألف ليلة وليلة ورسالة حي بن يقظان التي ألفها الفيلسوف بن طفيل. وقد كان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها أثر كبير"[1]

وإجمالا على كل ما ورد وكل ما تبين أن الأثر الذي أبقاه الأدب الإسلامي في آداب الأوروبيين كان عظيما فلا نجد أديبا واحدا من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية ومنهم: "شكسبير وأديسون وبيرون وسوذي وكولردج وشيلي وجيتي وهردر ولسنغ وفولتير ومنتسكيو وهيجو وغيرهم من الأدباء".[2]

[1]- عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص42-44.
[2]- المرجع نفسه، ص 46.

التعريف بابن خلدون

هو النخبة التي قل أن يأتي بمخلها الدهر والتاج الذي علا قمم رؤساء العصر، بما انطوى عليه من غزير المعارف والعلوم، إذ تحلى واشتمل على الخلق الكريم والفضل الجزيل، وقوة النفس الأبية، والتقنين في اللغات العربية، وشجاعة القلب والإقدام وكان له ثقافة موسوعة وإلمام كبير بالعلوم.

ترجع أسرة ابن خلدون إلى أصل يماني خضرمي، فكانت هذه الأسرة قدم راسخة في السياسة والعلم معا. "فقد روي أن هناك من دخل الأندلس مع الغزاة الفاتحين ومن بينهم خالد بن عثمان الملقب بلسم خلدون إذ أنه من حفدة وائل بن حجر، وقد سمي واشتهر أفراد هذا الفرع باسم بني خلدون نسبة إلى جدهم "خالد بن عثمان" وإلى هذا الفرع لذلك ينتمي العلامة أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان صاحب المقدمة الذي اشتهر باسم ابن خلدون نسبة إلى هذا الجد.

يقول ابن خلدون في تسجيل نسبه "العبد الفقير إلى الله تعالى الغني بلطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي"

يقول ابن حيان في عظمة أو أسرة ابن خلدون "بيت بني خلدون إلى الآن في إشبيلية نهاية في النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية".[1]

نسب ابن خلدون

أما سلسلة نسب ابن خلدون هي: "محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد ابن عثمان بن هانيء بن الخطاب بن كريب بن معديكوب بن الحارث بن وائل بن حجر"[2].

[1]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مقدمه ابن خلدون، شركة دار الأرقم بن آلي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ص 11.
[2]- المرجع نفسه، ص12.

ظروف نشأته وتعلمه

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون فاسمه عبد الرحمن وكنيته أبو زيد، ولقبه ولي الدين وشهرته ابن خلدون واكتسب كنية أبي زيد من اسم ابنه الأكبر حسب العادة العربية في الكنية وكثيرا ما يضاف إلى اسمه صفة المالكي نسبة إلى مذهبه الفقهي، نسبة الخضرمي نسبة إلى أصله الخضرمي.

ولد ابن خلدون بتونس في رمضان سنة 732هـ، 27 ماي سنة 1332م. في أسرة عريقة نابهة ذات مجد مؤثل وأنها أسرة رياسة وعلم وشرف رفيع. ولما بلغ سن التعلم كان أبوه معلمه الأول. وكانت تونس حينئذ مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب ومنزل رهط من علماء الأندلس الذين كانوا بينهم أساتذة ابن خلدون ومعلموه فقرأ عليهم القرآن وجوده بالقراءات السبع ودرس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي، ودرس عليهم العلوم اللسانية.

ولما بلغ الثامنة عشر من عمره صادفته حادثة "الطاعون الجارف" التي انتشرت سنة 749هـ في معظم أنحاء العالم وكذلك حادثة هجرة معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء من تونس إلى المغرب الأقصى سنة 750هـ فكانتا هاتين الحادثتين أثر بليغ في مجرى مياه ابن خلدون"[1]

وفي وسط هذه الأحداث كان على شيخنا تغيير مسيرة حياته حيث أن هذه الأحداث قد جعلت الوسائل غير ميسرة له بتونس لمتابعة الدراسة والتفرغ للعلم كما فعل أبوه من قبله. وكما كان في نيته أن يفعل وعلى إثري ذلك فقد أخذ يتطلع إلى الوظائف العامة والاشتراك في شؤون السياسة وقد أخذت المغامرات السياسية والوظائف الحكومية أكبر قسط من وقته ونشاطه إذ استغرقت زهاء خمس وعشرين سنة من حياته".[2]

[1]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المرجع السابق، ص 14.
[2]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الجزء الأول، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط04 أكتوبر 2006م، ص 47.

فكانت حياته مرآة عن طبيعة الحكم والسياسة التي كان يعيشها. وقد وافته المنية ودفن بمقابر الصوفية خارج باي النصر سنة 808هـ.[1]

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، الباب المحصل في أصول الدين، تحقيق رفيق العجم، دار المشرف بيروت، ط1، 1995، ص10.

شيوخ وقدوة ابن خلدون

احتل ابن خلدون في التراث العربي الإسلامي وفي الفكر الغربي المعاصر مكانة متميزة. فكان صاحب رؤية حضارية خاصة فالفضل الكبير والأسمى يعود أولا إلى أبوه معلمه الأول حينما بلغ سن التعلم فكانت تونس حينئذ مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب ومنزل رهط من علماء الأندلس. فمن هؤلاء كان معلمو وأساتذة ابن خلدون فقرأ عليهم القرآن وجوده بالقراءات السبع ودرس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي كما درس عليهم أيضا العلوم اللسانية واللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب مع عناية خاصة بالشعر، ثم درس الفلسفة والمنطق فيما بعد.[1]

وقد حظى العلامة ابن خلدون بالإعجاب من طرف أساتذته وشيوخه الذين تخرج على أيديهم، فقد درس شيخنا كتبا جمة مثل "كتاب التسهيل" لابن مالك و"مختصر" ابن الحاجب في الفقه.

وقد ذكر وبين أنه تعلم صناعة العربية على أساتذته بتونس كما عني ابن خلدون بذكر أسماء أساتذته ومعلميه الذين تلقى عليهم علومه منهم.[2]

- **أبو عبيد الله محمد بن الشواش الزرزالي**
- **أبو العباس أحمد بن القصار:** كان ممتعا في صناعة النحو، وله شرح على قصيدة "البردة" المشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.
- **أبو عبد الله محمد بن بحر:** إمام العربية والأدب بتونس بحرا زاجرا في علوم اللسان، ويقول ابن خلدون فيه: " أشار علي بحفظ الشعر فحفظت كتاب "الأشعار الشتة" و"الحماسة" ليوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالأعلم، وشعر "حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام. وطائفة من شعر المتنبي ومن أشعار كتاب الأغاني."

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، قرب مدرسة المصطفى، ص 13.

[2]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلة غراب وشرقا، الدار العربية للكتاب، القيروان للنشر، تونس 2006، ص 61.

- **شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان:** هو إمام المحدثين بتونس صاحب الرحلتين فقد قرأ "سمعت" عليه كتاب "مسلم" و"الموطأ".

كما أخذ وتعلم الفقه بتونس عن جماعة منهم:

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيابني.**
- **أبو القاسم محمد القصير:** وقد قرأ عليه كتاب "التهذيب" لأبي سعيد البرادعي.
- **أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي:** شيخ الفتيا بالمغرب وإمام المذهب المالكي.
- **أبو محمد بن المهيمن بن عبد المهيمن الخضرمي:** إمام المحدثين بالمغرب، فقد أخذ عنه سماعا وإجازة.
- **الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي:** إمام المقرئين بالمغرب
- **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي:** أصله من تلمسان، ولها نشأ[1] فيفضل هؤلاء المشايخ والعلماء وبفضل ما قدموا لابن خلدون فاتبع خطاهم وتعلم عليهم إلى أن أصبح له مكانة كبيرة بين الناس وبين أهل العلم والعلماء وحتى بين الحكام والسلاطين.

[1]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المرجع السابق ص 19.

الحياة العلمية والعملية لابن خلدون

لقد استمر ابن خلدون في طلب العلم حتى بلغ الثامنة عشر من عمره[1] وقد اجتاز في حياته أربع مراحل تمتاز كل مرحلة منها بمظاهر خاصة من نشاطه العلمي والعملي:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمي وتمتد من ميلاده سنة 732هـ إلى غاية سنة 751هـ وقد قضاها كلها في مسقط رأسه بتونس وقضى منها نحو خمسة عشر عاما في حفظ القرآن وتجويده بالقرآن والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم.

المرحلة الثانية: مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية وتمتد من أواخر سنة 751 هـ إلى أواخر سنة 776هـ. قضاها متنقلا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وبعض بلاد الأندلس. وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بمعظم وقته وجهوده في أثناء هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف، وتمتد من أواخر سنة 776هـ إلى أواخر سنة 784هـ، قضى نصفها الأول في قلعة ابن سلامة ونصفها الثاني أو الأخير في تونس. وقد تفرغ في هذه المرحلة تفرغا كاملا لتأليف "كتاب العبر ة وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

المرحلة الرابعة: مرحلة وظائف التدريس والقضاة وتمتد من أواخر سنة 784هـ إلى أواخر سنة 818هـ. قضاها كلها في مصر، وقد استأثرت وظائف التدريس والقضاء بأكبر قسط من وقته وجهوده في أثناء هذه المرحلة.[2]

[1]- شعبان جمال وآخرون، فكر ابن خلدون الحداثة والهيمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2007، ص 13.
[2]- عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2006/10م، ص 29.

السفر لقضاء الحج:

بعد حزن وعزل دام ثلاث سنين بسبب رحيل الأهل والولد من ذلك خلال غرق سفينتهم في البحر، قرر و عزم العلامة عبد الرحمان ابن خلدون على قضاء الفريضة. فودع السلطان والأمراء وهم في الرحيل، حيث خرج في منتصف رمضان من سنة تسع وثمانين من القاهرة إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس وعلى إثره ركب البحر من اليوم العاشر الفطر "شهر شوال" وبعد مرور شهر من الزمن وصل شيخنا مدينة الينبع وهي مدينة من مدن الجزيرة العربية تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، حيث أنه وافى الموكب ورافقهم من هناك إلى مكة المكرمة. وقد دخلها في الثاني من ذي الحجة. وبعد قضاء فريضة الحج عاد إلى الينبع حيث أقام فيه خمسين ليلة. وقد التقى في هذه المدينة بالفقيه الأديب المتقن "أبا القاسم بن محمد ابن شيخ الجماعة" وفارس ألدباء ومنفق سوق البلاغة أبي اسحاق إبراهيم الساحلي وقد قدم حاجا. وبعد الينبع سافر إلى مرسى الطور ثم بعدها نزل بساحل القصير ليتم الرحلة حتى مدينة قوص التي نزل فيها بضع أيام وبعدها ركب بحر النيل إلى مصر في شهر جمادى من سنة تسعين.[1]

[1]- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، الدار العربية للكتاب، القيروان للنشر، تونس 2006، ص 268.

مؤلفات ابن خلدون:

لقد تفرغ العلامة ابن خلدون جل حياته في العلم والتأليف والقراءة فمنذ نشأته انكب على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، فقد أنجبت قريحته مجموعة هائلة وكبيرة من المؤلفات نذكر منها:

- وفي سنة 780هـ أنجز "كتاب العبر" في صورته الأولى.[1]
- كتاب "العبر" طبعة الهوريني" سبعة أجزاء بولاق 1867م
- لباب المحصل في أصول الدين واختصارا "لباب المحصل" تطوان 1952م.
- مقدمة ابن خلدون واختصارا "المقدمة" طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة 1957م.
- التعريف بابن خلدون واختصارا "التعريف" دار الكتاب اللبناني، بيروت.[2]
- كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل.

[1]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ص 19.
[2]- ناصيف نصار، الفكر الواقعي عند ابن خلدون، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، طبعة 03، 1994م، ص 361.

الاهتمام بالمقدمة ومؤلفها:

1 - لدى الغرب:

لقد أعجب "الرأي العام" العلماء والباحثون بالعلامة ابن خلدون إعجابا يستحقه فهو مؤسس علم الاجتماع حقا وصاحب نظرات واقعية ناقدة في المنهج التاريخي، ومطبق المسح الحضاري الشامل على البيئة الاجتماعية المعاصرة له. وستظل مقدمته زمنا طويلا مصدر وعي العديد من النظريات الجديدة وحافزا فعالا للحياة الفكرية[1] حيث أنها ملأ صيتها العالم في الشرق والغرب، فقد وصفت من بين أوائل المؤلفات التي تنهج في التصدي لمسألة التاريخ البشري نهجا علميا في بحث العوامل الموضوعية لتقدم المجتمع الإنساني, وفي ضوء كل هذا قد هتم بها العديد من الغربيين فنجد أقدم من وجه نظر الغرب إلى مقدمة ابن خلدون مستشرق فرنسي كان اسمه بارتلمي دربلو دو لانقيل Barthélmy D’herbelot De Molainville (1625-1695) فقد نشر في أواخر القرن السابع عشر سنة 1697 في مكتبته الشرقية مقالا يتضمن بعض معلومات عن ابن خلدون وبعض مقتطفات من مقدمته.

كما نجد أيضا جهود ثلاثة من كبار المستشرقين وهم سلفستر دوساسي الفرنسي Issc Sylvestre De Sacy وفون هامر النمساوي Vonhammer-Purgstall وشولتز Schultz فقد نشر دوساسي في سنة 1806 ترجمة فرنسية لما كتبه ابن خلدون في المقدمة عن البيعة وشارات الملك، وإما في سنة 1810 فقد نشر ترجمة لفصول أخرى من المقدمة.[2]

أما فون هامر وشولتز فيرجع الفضل لهما في إبراز أهمية ابن خلدون وأهمية دراساته الاجتماعية فقد نشر هامر سنة 1812 رسالة بالألمانية أشاد فيها بابن خلدون وبحوثه وفي المقدمة (حيث أنه لقبه بمنتسكيو العرب) أما المستشرق شولتز فقد نشر في سنة 1825 بالمجلة الآسيوية كذلك مقالا درس فيه بحوث ابن خلدون وأبان عن مبلغ أهميتها وخطرها ودعا فيه إلى طبع المقدمة وترجمتها ترجمة كاملة وأما

---

[1]- سهيل العثمان، اسهام في الفكر الحضاري والنقدي، دار الحكيم، الطبعة الأولى 1985، ص 73.
[2]- للعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ص 26.

المستشرق الفرنسي دوسلان De Slane فقد ترجم المقدمة إلى اللغة الفرنسية وعلق على بعض فقراتها وشرح بعض عباراتها.

وعلى إثري كل هذا فقد نجمت عدة آثار من وراء هذا الاهتمام سواء بابن خلدون أو بمقدمته. فقد كان من آثار ذلك أن تغيرت نظرة وآراء علماء الغرب فيما يتعلق بنشأة العلوم الاجتماعية وتاريخ هذه النشأة كما نجد أيضا تعدد البحوث عن ابن خلدون وعن مقدمته، حتى تألف منها في مختلف مكتبات الغرب مجموعة من أوسع المجموعات.[1]

2 - لدى العرب:

تحدث عن مقدمة ابن خلدون بعض المعاصرين له وبعض من جاءوا بعده بقليل من أدباء البلاد العربية ومؤرخيها وكان على رأس المشيدين بفضلها وبفضل مؤلفاها والمتأثرين بها المؤرخ الشهير تقي الدين المقر يزي الذي كان معاصرا لابن خلدون، كما نجد أيضا المؤرخ المصري أبو المحاسن ابن تغري بردي فقد أشاد بفضل ابن خلدون في التاريخ وكذا تأثره بآرائه ونظرياته في المقدمة وبالإضافة أيضا أبو العباس القلقشتدي الذي يظهر اقتباسه من المقدمة وتأثره بها في مواطن شتى من موسوعته "صبح الأعتني".

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كانت المقدمة قد طبعت في مصر وفي بيروت وعم انتشارها وكثر تداولها بين الناس فبرزت "مقدمة ابن خلدون" إلى الصفوف الأولى من مقومات الثقافة ومراجع البحث، واستأثرت بقسط كبير من نشاط النابهين من العلماء في هذا العصر ودرست في معاهد التعليم وعلى الأخص مدرسة دار العلوم، وقد قام بتدريسها الإمام والأستاذ الشيخ محمد عبده.

أما في القرن العشرين فقد امتاز هو أيضا بعناية كبيرة اتجاه دراسة ابن خلدون ومقدمته من ناحيتها الاجتماعية، فقد امتاز أيضا بظهور مؤلفات ومقالات ورسائل في هذه الناحية بأقلام عدد كبير من

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 27.

الباحثين في مصر والبلاد العربية الأخرى على غرار ما ظهر من ذلك في الغرب ومن أهم ما نشر من هذه البحث نجد:

- فلسفة ابن خلدون للدكتور عمر فروج بيروت 1942.
- حياة ابن خلدون الأستاذ محمد الخضر بن الحسين، تونس.
- دراسات عن مقدمة ابن خلدون الأستاذ ساطع الحصري، طبع في مطبعة المعارف بمصر سنة 1953.
- ابن خلدون للأستاذ عزيز العظمة منشورات رياض الرئيس 2000.[1]

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص 30.

تلخيص المقدمة

لقد وصفت مقدمة ابن خلدون في مؤلفات الفلاسفة الماركسيين بأنها من الأوائل المؤلفات التي تنهج في التصدي لمسألة التاريخ البشري نهجا علميا قائما في بحث العوامل الموضوعية. فقد كان صاحبها من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي[1] فقد ملأ صيتها العالم في الشرق والغرب وكانت ذا قيمة كبيرة بجوار ماكسية عنها عمالقة الفكر الاجتماعي من العرب والأوروبيين. ومن المؤكد أن المقدمة مشهورة ومذاعة تلهج بذكرها الألسنة من قبل ومن بعد، وقد اعتبرنا المقدمة نصا فلسفيا عكف عليها معظم العلماء والباحثين.[2]

لقد انتهى ابن خلدون المؤرخ من كتابة مقدمته في منتصف سنة 779هـ واستغرق في كتابتها خمسة أشهر فقط حسب ما يذكره هو في خاتمة مقدمته إذ يقول: "اتممت هذا الجزء بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف عام سبعة وسبعين وتسعمائة ثم نقحته بعد ذلك وهذبته".

تطلق "مقدمة ابن خلدون" على المجلد الأول من سبعة مجلدات التي يتألف منها: كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر، في لأيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

ورد في المقدمة ذكر لعدد كبير من أسماء الأشخاص والبلدان والأماكن والقبائل والبطون والأمم والشعوب، كما اشتملت أيضا في آرائها الأساسية على شؤون العمران وكثيرا ما يعرض ابن خلدون لذكر الكتب والباحثين والمؤلفين وأئمة المذاهب في مختلف العلوم وكثيرا[3] ما ينفل عن هذه الكتب وعن هؤلاء الباحثين والأئمة بعض العبارات أو بعض الحقائق وكثيرا ما يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

وعليه فقد اشتملت مقدمة العلامة المؤرخ ابن خلدون على ثلاثة أقسام:

---

[1]- جمال شعبان وآخرون، فكر ابن خلدون، الحداثة الهيمنة مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، بيروت 2007، ص 08.
[2]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، التعريف ابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، الدار العربية للكتاب والقيروان للنشر، تونس 2006، ص 10.
[3]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر للطبعة والنشر والتوزيع، ط4، 2006/10م، ص 176.

القسم الأول: "الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية" وقد عرض فيها المؤلف بعد الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحوث المؤرخين من قبله. وذكر طرائفهم ووجوه النقص في بحوثهم وأشار إلى الأسباب التي دعته إلى تأليف الكتاب كله "كتاب العبر" وبين طريقته وأقسامه وختم هذه الافتتاحية بإهداء نسخة من الكتاب إلى أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (سلطان المغرب الأقصى من سنة 796 إلى سنة 799هـ. وهي النسخة التي أتم تحريرها بمصر وبعث بها إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن حوالي سنة 799هـ، أما النسخة الأولى فكان قد أمدها سنة 784هـ إلى السلطان أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله الحفظي سلطان تونس.

القسم الثاني: قد سماه المؤلف "المقدمة في فضل علم التاريخ" وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها.

القسم الثالث: وهو ما سماه المؤلف "في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدر والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب"، وهو القسم الرئيسي والمهم وهو ما نسميه الآن "مقدمة ابن خلدون".[1]

أما هذا القسم "مقدمة ابن خلدون" فيشتمل على ما يلي:

1. تمهيد تكلم فيه عن التاريخ وموضوعه وأسباب الخطأ في رواية حوادثه والأسباب التي دعته إلى البحث الذي يتضمنه هذا الكتاب الأول من مؤلفه.
2. ستة بحوث رئيسية تدرس ظواهر الاجتماع الإنساني وهي:

<u>الباب الأول:</u> "في العمران البشري على الجملة" ويشمل على ست عناوين (مقدمات):

1 - في أن الاجتماع الإنساني ضروري

2 - 5- في بحوث جغرافية وأثر البيئة الجغرافية في ألوان البشر وأخلاقهم وطرق معاشاتهم.

[1]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المرجع السابق، ص 177.

6 - في الوحي والرؤيا وفي أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو الرياضة وفي حقيقة النبوة والرؤيا والكهانة والعرافين

الباب الثاني: "في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل" ويشتمل على تسعة وعشرين فصلا فرعيا: وتعرض الفصول:

1 - 10- تعرض الفصول العشرة الأولى من هذا الباب للشعوب البدوية ونشأتها وبعض شؤونها الاجتماعية وأصول المدنيات.

11 -29- وقد تعرض في الفصول التسعة عشر الأخيرة على طائفة من نظم الحكم والسياسة المتعلقة بالشعوب البدوية وغيرها.

الباب الثالث: "في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية" ويشتمل على أربعة وثلاثين فصلا فرعيا.

1 - 34- تعرض جميعها لنظم الحكم وشؤون السياسة.

الباب الرابع: "في البلدان والأمصار وسائر العمران" ويشتمل على اثنين وعشرين فصلا فرعيا.

1 - 22- تعرض كلها لنشأة المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمراينة والاجتماعية والاقتصادية واللغوية.[1]

الباب الخامس: "في المعاش وجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال" ويشمل على ثلاثة وثلاثين فصلا فرعيا.

الباب السادس: "في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال" ويشتمل على واحد وستين فصلا فرعيا.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ص 178.

1 - 61- تعرض لمختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم.[1]

في المقدمة تظهر شخصيته العلامة ابن خلدون مكانته العامة والعلمية وآثاره.

[1]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر لطباعة للنشر والتوزيع ط4، 2006/10م، ص 179.

مصطلح الحضارة

لقد ورد في لسان العرب أن الحضارة نعني: (الحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، والحاضر: المقيم في المدن والقرى، والحضارة: الإقامة في الحضر وسميت بذالك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار)[1]

يعد إبن خلدون بالدرجة الأولى عالم الإجتماع الأول أو مؤسس علم الإجتماع وبالدرجة الثانية فهو المؤرخ للحضارة حينما لم تكن فلسفة الحضارة قد ولدت بعد بالمعنى المعاصر، وكذلك يمثل أحد أمجاد الحضارة الإسلامية ومفكر كبير وصاحب نظرية حضارة ولما يحمل مصطلح الحضارة دور كبير وأهمية بالغة في المجتمع البشري ولدى صاحب المقدمة بشكل خاص إلى درجة تصنيفه من أهم وأبرز الصفات أو التقسيمات التي جاءت في كتابه الضخم والفريد ألا وهو المقدمة حيث تناول فيها قام من خلالها بتعريف كل من فلسفة الحضارة وكذلك فلسفة التاريخ وبالإضافة أيضا إلى فلسفة المعرفة.

لقد تناول مؤرخنا العلامة إبن خلدون في الفصل الثامن عشر من الباب الرابع من مقدمته مفهوم الحضارة بشكل مفصل حيث أن ربط الحضارة بالترف وأعطى تعريف لكل واحد منهما حيث يؤكد بوجود علاقة ترابط قوية بين ظاهرتي الترف والحضارة حيث يقول إبن خلدون إن الترف (هو عبارة عن وجود حد أقصى من المكاسب المادية لدى الناس في مجتمعهم)[2]

والترف بدوره يؤدي إلى ظاهرة الحضارة في العمران البشري حيث يعرف أبن خلدون الحضارة بأنها التفنن في الترف وإستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنف من أصنافه وسائر فنونه كالصنائع

[1] إبن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1426 ه 2005 م ، ص186

[2] جمال شعبان، وآخرون، فكر ابن خلدون، الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الأولى 2007، ص 120.

المهنية للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفراش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل والفنون والعلوم وإنها حالة إستقرار الملك المناقضة للبداوة[1].

وأما فيما يخص نتيجة العلاقة بينهما فيقول إبن خلدون : (إن الترف والنعمة إذا حصل لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلف بعوائده[2]

كما يرى إبن خلدون أيضاً أن إنجاز الحضارة يتطلب أو ينتج عملية جدلية فيها طرفين مختلفين الإتجاه تماماً هي أن الحضارة من ناحية هدف عزيز بطمع إلى تحقيقه المجتمع البشري أو هي غاية يطمح إليها كل إنسان ولكن في الناحية الأخرى أو لشق المقابل هي نهاية العمران البشري في المنظور الخلدوني إذ لم تتبع على الطريقة السليمة والصحيحة حيث إبن خلدون : (هي أن الحضارة غاية العمران و النهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده)[3] إذا غلبت عليها كل ما يمس الدين من شهوات فالترف والحضارة آثار سلبية على الأفراد ومجتمعاتهم وهو الأمر الذي يوفق سنة التطور والتقدم عندهم ويقود إلى الضعف والفساد والإنهيار إذ يقول ابن خلدون وهو متشائم للغاية عن حال ومصير المجتمع الذي يغلب عليه معالم ثقافة الترف والحضارة الذين يمثلان نهاية العمران (فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم من العمران والدول)[4]

لم يكن ابن خلدون وحد مهتم لإعطاء تعريف أو ماهية الحضارة فنجد أيضاً مالك بن نبي المفكر العربي الذي عني هو أيضاً بالفكر الحضاري وبمشكلة الحضارة وقد مثل فلسفة الحضارة تمثيلا عميقاً..هذا من الطبيعي لان ملهمه الأكبر مؤرخنا العلامة ابن خلدون فهو أستاذه الأول فقد كان معجبا ومتأثراً به حتى النخاع معجب بنوع ومادة فكره الإجتماعي والتاريخي والحضاري ومعجب به كمفكر ملهم ومنظر مبدع وعبقري مكتشف فإختار عنه منهجه الفكري وموضوع فكره للفكر الحضاري

[1]- جمال شعبان وآخرون، المرجع السابق، ص 82.
[2]- المرجع نفسه، ص 120.
[3]- المرجع نفسه، ص 125.
[4]- المرجع نفسه، ص 125.

فكانت تجمع بينهما رؤى متقاربة في حقل واحد وهو التحليل الإجتماعي والتنظير الحضاري فأصبح يشار لمالك بن نبي بأنه هو الآخر منظر حضاري في كتابه وأفكاره وأنه أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري منذ عهد ابن خلدون

إن من أهم ما كتب مالك بن نبي لمعالجة الوضع الإجتماعي للعالم العربي وبقيت منه في ذالك الإجابة عن السؤال الآتي وهو ما هي الحضارة؟ فقد تناول الحضارة من جهات تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطويرها تاريخيا وإجتماعيا فأصل الحضارة دائما هو الإنسان والتراب والوقت إذ أن هذه العناصر الثلاثة مكملة لبعضها فلا يمكن حذف أحد العناصر فلا حضارة بدون إنسان ومكان وزمان.

وعليه فإن الحضارة عن مالك بن نبي تمكن في:(الحضارة مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من الأطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه)[1]

فكلا من ابن خلدون ومالك بن نبي كان همه ومبتغاه العناية بالحضارة فكان الأول فيلسوف في تناوله الديكالتي للحضارة أما الثاني فهو أيضاً كان أبرز مفكر عني بالحضارة منذ ابن خلدون رغم تباعد الفترة التاريخية والزمنية بينهما إلا أن ابن خلدون تحدث عن الحضارة بمنظور عصره وكذلك مالك بن نبي عبر عنها ولكن حسب عصره والوقائع الإجتماعية الذي كان يعيشها.

[1]- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة من أجل التغيير، دار الفكر، دمشق، ط6، 1997، ص98.

مصطلح التاريخ

إن فكر ابن خلدون يمثل نقطة تحول في المسار الحضاري للأمة فقد بقي لغزاً أنما الباحثين والمفكرين عبر التاريخ من دون الوصول إلى الكشف أسراره فهو الذي يعترف له الكتابات الماركسية المعاصرة بأنه سبق علماء الغرب وفلاسفة الإجتماع وفلسفة التاريخ توصف مقدمته في مؤلفاته الفلاسفة الماركسين بأنها من أوائل المؤلفات التي تنهج في التصدي لمسألة التاريخ البشري نهجاً علمياً قائما على بحث العوامل الموضوعية لتقدم المجتمع الإنساني.

فمثلما يقال أن (التاريخ كومة تراب وجدها أحد العلماء في أحد الكهوف)[1]

فالتجربة التاريخية لأي حضارة من الحضارات تلعب دوراً هاماً في صياغة الفكر العام وتحديد حاضره وتطلعاته نحو المستقبل الذي يستوجب أن يسير إليه وفق القيم العقيدية والفكرية وبحيث يضل الماضي حيا في المفهوم الحاضر حتى بعد أن يكون الحاضر تخطاه زمناء

تبدو عبقرية ابن خلدون ويبدو نبوغه كثيرة من أهمها أنه إمام ومجدد في علم التاريخ فيقول روبرت فلينت فيه (.....وأما كواضع لنظريات التاريخ فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان).[2]

فقد عرف العلامة ابن خلدون كمؤرخ وباحث وارتبطت شهرته بكتابه "العبر" الذي تناول فيه جزء كبير وخصه للتاريخ وقد عرج فيه عن أخطاء المؤرخين السابقين في استعمال هذا الفن فكانت المقدمة بحث تاريخي يعارض فيه ابن خلدون اتجاه ما سبقه من المؤرخين إلى جمع الروايات من دون نظام منهجي[3] فالتاريخ هو عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ أنه على أحوال الماضي للأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرتهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء فهو علم كفن

[1]- أنيس منصور، التاريخ أنياب وأظافر، دار الشروق، ط6، 1418ه-1997م، ص 05.
[2]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تعليق علي عبد الواحد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2006/10، ص 116.
[3]- سلطان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ن، ص 54.

محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبيت تضيفان بصاحبها إلى الوصول إلى الحق واليقين.

لقد إعتنى ابن خلدون بعلم التاريخ رغم أن الحوار مع التاريخ شاق وعسير فنحن لا نستطيع أن نعيده ونسترجعه لنناقشه إلا من خلال ما كتب عنه الأوائل فالتاريخ حركة دائبة هادرة متغيرة غير ثابتة تنتابها إنفعالات اللحظة الحاسمة التي تسقط فيها خطأ الموقف لتسجيل في التاريخ.[1]

يرى ابن خلدون بأن التاريخ موضوع هام كثير الفوائد عظيم الغايات لأنه يطلعنا على أحوال الماضين من الأمم الملوك، وحقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يصاحب ذلك من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وما يحبذه الناس من الأعمال والصنائع وما يصاحب ذلك من أحوال.[2]

ولأن التاريخ كما علمنا ابن خلدون هو عبرة وليس حجاباً نضعه على أبصارنا ليخفي عنا الحقائق فهو يعتبره من الضروريات التي يجب أن تكون متوفرة لدى الأديب[3] وعليه الاهتمام به.

فإن مهمة المؤرخ ليست مجرد نقل للرويات أو سرد للأخبار بل يجب أن يقوم بتحليل الحوادث ومقارنتها مع بعضها البعض من أجل تميز الخبر الصادق من الخبر الكاذب ومن هنا فإن المؤرخ محتاج للإلمام بمعارف متعددة ومتنوعة لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تتحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الإجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما يؤمن فيها من العثور و مزلة القدم وكثراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لإعتمادهم فيها على مجرد النقل، فصاحب هذا الفن يحتاج إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد

[1]- سعد الله الجابري، حوار مع التاريخ (أوراق مضيئة) مترجم.
رياض الجابري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ط 2006 ص 05

[2]- عبد الله السعد العمري تاريخ العلم عند العرب مجدلاوي للنشر والتوزيع الأردن ط 01 سنة 1990 ص 228

[3]- عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، موفم للنشر والتوزيع الجزائر، ط2008، ص 29.

والمذاهب وسائر الأحوال، فالتاريخ إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة.[1]

والتاريخ عن مؤرخنا العلامة ابن خلدون هو مقدمة المقدمة ودائرة الدوائر حيث يقول التاريخ هو فن أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها[2] فهو ليس من علم الخطابة ولا من علم السياسة المدنية وذلك أنه لا يسعى إلى إستمالة الجمهور والتأثير فيه ولا إلى الكلام في تدبير المنزل أو المدينة فهو علم مستقل بنفسه.

لقد حمل تاريخ عند ابن خلدون تصوراً مزودجاً معبراً عنه بثنائية الظاهر والباطن، فالشق الأول : أن التاريخ في ضاهره هو حقل الإخبار عن العصور والدول ومرتع ذكرها وتناولها وفوائد التاريخ الدنيوية عديدة كالتواصل بين الأجيال وهذا فضلا عن الفوائد الأخروية كالعمل على دنيا التغلب والزوال على التزود للآخرة والتخلق بالصبر والحكمة.

أما الشق الثاني : أي التاريخ في باطنه قائلاً "وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات مبادئها دقيق معلم بكيفيات الواقع وأسبابها عميق ".

فالرغبة في التاريخ هو فهم الواقع وتفسيره فهو أقرب تصوير لواقع الأمة فتاريخ كل أمة هو مرآتها وهو مختزنها الثقافي والوجداني الذي يعيش فيه، ومن فقد تاريخ أمته يصبح كالذي فقد ذاكرته يضيع منه حاضره كما يضيع مستقبله فالإنسان هو صانع التاريخ.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون المغربي تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني بيروت ومكتبة الدراسة بلبنان المجلد الأول ص 46

[2]- سالم حميش، الخلدونية فيى ضوء فلسفة ابن خلدون، دار الطليعة بيروت، ط1، ص40.

مصطلح الدين

تحلى ابن خلدون إلى جانب سعة علمه وتفوقه بين أقرانه بخصال أخلاقية جمة منها التواضع وحسن العشرة فكان جميل الهيئة والخلق فصيحا محببا في عشيرته.

يعني مصطلح الدين العبادة والطاعة والخضوع أو يعني الطريقة والمذهب الذي يسلكه المرء نظرياً وعلمياً.

كان ابن خلدون قبل كل شيء ابن ثقافة أمته الدينية والفلسفية ولكنه كان قبل كل ذلك وبعد كل ذلك ابن أوضاع أمته وظروفها تأثر بعناصر كثيرة من ثقافة أمته وحرص هو نفسه على إبراز هذه الثقافة وعناصرها وبخاصة منها الإيجابية كالإيمان بالدين صافيا والإيمان بالعقل دون إفراط اليونانين فيه والإيمان بالعمل والبرهان بالتجربة والمعاينة فوق كل شيء ، فالدين دور كبير في بتاء الحضارات وبناء الوازع الأخلاقي عند العرب.

فالدين هو إحدى السمات الرئيسية أو هو الحالة المثلى للتوازن مع الكون والعبادة كيفما كانت صيغتها أو الحياة السامية التي تسند إلى العبادة[1] فالدين يقوم على أكثر الأسس صلابة في وجود الإنسان على أنه الوعي الباطني للحقيقة يقول وليم جيمس (......فالدين هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة يشعر الفرد بها.[2]

لقد كانت مفاهيم الدين وسلوكياته واقعا معاشاً في المجتمع يعيشه الناس في واقع حياتهم واعين قاصدين، فيصبح بذلك الدين جزء من حياتهم يؤذونه تلقائيا بفعل التوجيه الدائم في البيت والشارع وفي كل مناشط الحياة ، فالحقيقة أن الدين عميق التأثر في الذين اعتنقوه بل حتى في الذين

[1]- محمد الحبيب المرزوقي ، استلهام خلدون والفكر الإجتهادي، دار جدير للنشر والتوزيع منتدى الفكر العربي عمان ط 01 1427 ه 2007 م ص30

[2]- فراس المواح، دين الإسلام بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع مشورات دار علاء الدين فبراير 1994 م ص 391

لم يعتنقوه والذين وقفو ليحاربوه بكل ما وسعهم من جهد، وهذا لأن الدين يملك أسلحة الصراع فالثقافة العربية شديدة الارتباط بالثقافة الدينية منذ نزول الإسلام إذ لا يمكننا أن نفصل بين الدين والعلم ، فمن الدين إنبثقت الرغبة في التعليم ومن الدين كان الحافز في كشف المجاهيل وبذلك تبنى الحضارة الحقيقية التي تشمل نشاط الجسد ونشاط الروح وتشمل العلم والأخلاق فالدين قدرة أساسية وأهمية كبيرة في تنشئة أبنائنا وبناتنا[1] وفي حياة الإنسان كله.

[1]- محمد قطب من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر أهوال الدين في التاريخ وفي الاقتصاد وفي الأدب، دار الشروق القاهرة ط 01 1423 ه 2003 م ص66

الخاتمة

ها أنا أقف عن آخر لمسة من لمسات هذا البحث المتواضع والذي يعد في نظري محاولة في ميدان البحث لأنه لم يكن هينا الإقتراب من عالم ومؤرخ مثل الإمام عبد الرحمان بن خلدون ذلك أن أدبه غزير ومتنوع فلم يغادر أي ميدان من ميادين الأدب إلا ضرب فيه بسهم فقد كان يلقب بعالم الإجتماع وعلام التاريخ ومعلم التربية والتعليم كما كان شاعراً فلم يترك فرع من فروع المعرفة إلا ألم به فهو الرجل الذي قال فيه الخطيب: < إنه رجل فاضل جم الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس، عال الهمة، قوي البأس، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الحظ، حسن العشرة، مفخر من مفاخر العرب>

ولقد جادت قريحته بكتاب اسمه المقدمة حيث أنه جمع فيها العلوم فعجزت عن الإثبات بمثلها الفصول صارت زبدة للمعارف ونتيجة للمفهوم والعقول السليمة، وعبرت عن حال الوجود وأصل كل موجود بلفظ أنهى من الدر وألطف من الهواء، ولم تعف عن علم أو فن إلا وأنت على ذكره من غير كلل أو ملل ومن دون تطويل أو تعجيل فهي تحفة ابن خلدون وسر عظمته.

أما النتائج التي استخلصتها من هذا البحث فهي مدونة في السطور التالية:

❖ إحياء التراث والعناية بكتبه، لان التراث العربي يعتبر أساسا ومنهجا في بناء الإنسان العربي المعاصر وكذا دراسة الماضي إنما من أجل الحاضر والمستقبل.

❖ يعتبر ابن خلدون مؤرخاً وعالم اجتماع وخبير في التربية والتعليم وموسوعة علمية انعدام نظيرها في عصور الفكر فكان كالشهاب الساطع وسط الظلام الدامس.

❖ تعتبر مقدمة ابن خلدون من كنوز التراث العربي، وهذا ما جعل صيتها مشهوراً وكذا الإهتمام بها من طرف كل باحث عربي أو غربي كان.

❖ تضم مقدمة ابن خلدون آراء وملاحظات حول التربية والتعليم بالإضافة إلى آراء سياسية في شؤون العمران، فقد كانت تظهر شخصيته ومكانته العامة والعلمية وآثارها ونواحي عظمته وأصالة بحوثه.

❖ التاريخ في نظر ابن خلدون هو مقدمة المقدمة فهو فن أصيل فتاريخ كل أمة هو مرآتها، من يفقد تاريخ أمته يصبح كالذي يفقد ذاكرته ويضيع منه حاضره.

❖ الحضارة عند ابن خلدون هي التفنن في الترف وإستجادة أحواله فهي هدف عزيز يطمع إلى تحقيقه المجتمع البشري، كما يبين أن الحضارة سلبيات بأنها تفسد الأهل فيكثر فيهم الفساد والشر والفسق وأنها هي أيضاً غاية العمران البشري ونهاية لعمره.

❖ والمعلوم أن متطور ابن خلدون ما يزال فاعلا بل أنه لا يمكن أن يأتي يوم فلا يكون فيه فاعلا فهو لا يزال فاعلا وسيظل فاعلا فما ستلهمه من أي مفكر هو ما نعده قد بقي صالحا من فكره امن عمله فعبقرية ابن خلدون وقوة شخصيته لا نستطيع انكارها.

- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، المجلة الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1426هـ-2005م.
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، ط6، 1417هـ-1997م.
- أنيس منصور، التاريخ أنياب وأظافر، دار الشروق، ط6، 1418هـ-1997م.
- جمال شعبان وآخرون، فكر ابن خلدون، الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م.
- ليلى توفيق العمري، جهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث العربي، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م.
- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، من أجل التغيير، دار الفكر، دمشق، ط6، 1997م.
- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، ط6، 1427هـ-2002م.
- محمد الحبيب المرزوقي، استلهام ابن خلدون والفكر الاجتماعي، دار جدير للنشر والتوزيع، منتدى الفكر العربي، عمان، ط1، 1427هـ-2007م.
- محمد قطب، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر في أمور الدين وفي التاريخ، في الاقتصاد وفي الأدب،دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م.
- ناصيف نضار، الفكر الواقعي عند ابن خلدون، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1994م.
- فراس الحواس، دين الإنسان بحث في ماهية الدين، ومنشأ النافع الديني، منشورات، دار علماء الدين، فبراير 1994م.
- سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة ابن خلدون، دار الطليعة، بيروت، ط01.

- سلطان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ن.
- سعد الله الجابري، حوار مع التاريخ، أوراق مضيئة، مترجم رياض الجابري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط6، 2006م.
- سهيل العثمان، اسهام في الفكر الحضاري والنقدي، دار الحكيم، ط1، 1985م.
- عبد الله منسي، السعد العمري، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1990م.
- عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، موفم للنشر والجزائر، ط.2008م.
- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، فبراير 1995م
- عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عارضه وعلق حواسه، محمد بن تاويت الطنجي، راجعه ابراهيم شيوخ، الدار الغربية للكتاب والقيروان للنشر، تونس 2006م.
- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دراسة أحمد الزغبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دراسة علي عبد الواحد الوافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2006/10م.
- عبد الرحمان ب خلدون المغربي، تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأجر، دار الكتاب اللبناني بيروت ومكتبة المدرسة لبنان، المجلد الأول.

- عبد الرحمان بن خلدون، الباب المحصل في أصول الدين، تحقيق رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، ط01.

فقد درس ابن خلدون وترعرع على يد كبار شيوخ زمانه وهم:

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي الحصايري
- أبو عبيد الله محمد بن الشواش الزرزالي
- أبو العباس أحمد بن القصار
- أبو عبد الله محمد بن بحر
- شمس الدين أبي بن عبد الله محمد بن جابر بن سلطان
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحياني.
- أبو القاسم محمد القصير
- أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي.
- أبو محمد عبد المهيمن بن عبد المهمين الحضرمي.
- الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي.
- علي أبي عبد الله الوارياشي.
- محمد بن عبد الله بن عبد النور
- محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلغيقي.

شخصية مالك بن نبي في سطور:

ولد مالك بن نبي في قسنطينة عام 1905م، انتقل مع عائلته إلى تبسة عام 1908م، وقد حرص والده على تربيته وتعليمه فأدخله المدرسة القرآنية في سن مبكر، فاستطاع أن يحفظ جزء من القرآن الكريم، والسبب هو التحاقه بالمدرسة الفرنسية[1].

وفي سنة 1923 م رجع مالك بن نبي إلى المدرسة الرسمية وفي تلك الأثناء نهل من مناهل الأدب الفرنسي والعربي.

وقد سافر مالك بن نبي إلى باريس سنة 1930م للالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية غير أنه لم يسعفه الحظ، وفي عام 1931م شاء القدر أن يلاقيه بفتاة فرنسية اعتنقت الإسلام فتزوج بها، وعلى إثر كل هذا تابع دراسته الجامعية في باريس حيث انتسب إلى مدرسة اللاسلكي وفيها تعرف على الحضارة الغربية.

وفي سنة 1935م أتم دراسته في الكهرباء والميكانيك وبالرغم من محاولاته لمزاولة بعض الأعمال لكنه لم يستمر فيها بسبب محاربة الاستعمار الفرنسي لأبناء المستعمرات وعلى إثرها عاد إلى الجزائر.

وبعدها سافر إلى مصر وتزوج مرة ثانية بسيدة جزائرية أنجبت له 03 ثلاث بنات ولقد كانت لأسرة مالك بن نبي الأثر الكبير على حياته العملية والمهنية والشخصية، كما يدين بالفضل في تكوينه النفسي والفكري إلى عدد كبير من الأشخاص منهم العلماء والمفكرون والأدباء والأساتذة.

وفي سنة 1967م استقال من عمله في وزارة التعليم وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية.

وفي سنة 1973م سافر إلى باريس من أجل العلاج وأجريت له عملية جراحية، وبعدها نصحه الطبيب بأن يعود إلى الجزائر، فعاد إلى الجزائر وبعدها توفي رحمه الله يوم الأربعاء 04 شوال 1993هـ الموافق ل31 أكتوبر 1973م.

[1]- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، ط6، 1427، 2002، ص 01.

ترك مالك بن نبي مجموعة كبيرة من المؤلفات كانت نتيجة لفكره الفذ معالجا فيها عدة قضايا تخص العالم الإسلامي[1] مبرزا دور القرآن الكريم في حل عدة أمور، فلا يكاد يخلو له مؤلف من ذكر آية قرآنية أو تنويه بأهمية القرآن في حياتنا، فنجد:

- مشكلة الثقافة
- شروط النهضة
- ميلاد مجتمع
- مذكرات شاهد القرن
- آفاق جزائرية
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة
- وجهة العالم الإسلامي
- الظاهرة القرآنية
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي
- بين الرشاد والتيه
- تأملات
- دور المسلم ورسالته
- الفكرة الإفريقية الآسيوية.
- في مهب المعركة
- من أجل التغيير.
- القضايا الكبرى.

[1]- مالك بن نبي، مشلكلات الحضارة، من أجل التغيير، دار الفكر، دمشق، ط6، 1429-2008، ص 146.

الفهـــرس